

مضامين لغة الخطاب الثوري وإنتاجية دلالاتها  
في شعر المعتقلات - ديوان الضوء والأثر أنموذجاً

أ. حسين عمر دراوشة  
جامعة غزة - فلسطين

الملخص: أنتجت نصوص الخطاب الشعري الثوري في المعتقلات دلالات ذات أبعاد تنويرية مبنية على تيار الرفض والتمرد ضد الظلم وأعدائه، فبنى أهل المعتقلات لغة خطابهم على مضامين وموضوعات تنسجم مع مقاصد النصوص ورسائلها التي تعبر عن رؤية المعتقلين وفلسفتهم في الحياة، فانطلقت النصوص من الفضاء المغلق بتقنيات تبليغية ومشكلات تأويلية أسهمت في حيوية الخطاب وفاعليته؛ لذا جاء هذا البحث ليبين مضامين لغة الخطاب الثوري وإنتاجية دلالاتها في شعر المعتقلات من خلال اتخاذ ديوان الضوء والأثر أنموذجاً لشاعر الأسرى علي عصفارة، من خلال إجراء مقاربات تحليلية لمضامين الخطاب الشعري الثوري مع التركيز على بنية الخطاب والكشف عن أدواته وأساليبه والظواهر اللغوية البارزة في ثناياه التي تحوي في طياتها كثير من الدلالات التي أنتجها السياق، مع استخدام المنهج الوصفي التحليلي من خلال النماذج الشعرية من ديوان شاعر الأسرى، ومن ثم خاتمة البحث وفيها نتائج البحث ونتائجه وحواشي البحث ومصادره ومراجعته.  
الكلمات المفتاحية: (مضامين- لغة الخطاب- الخطاب الثوري- إنتاج الدلالة- شعر المعتقلات).

**The contents of the language of the revolutionary discourse and the productivity of its significance in the poetry of the detainees - The Office of Light and Impact is a model**

**Abstract:** The texts of the poetic discourse in the prisons produced signs of enlightening dimensions based on the rejectionist trend and the rebellion against injustice and its collaborators. The people of the camps built their speech language on contents and themes that corresponded to the purposes of the texts and their messages that express the vision of the detainees and their philosophy in life. The research came to illustrate the contents of the language of the revolutionary discourse and the productivity of its significance in the poetry of the detention centers by taking the light and impact office as a model for the prisoner poet Ali Asafra, through conducting analytical approaches to the contents of the calligraphy B - poetic poetry with a focus on the structure of discourse and the disclosure of tools and methods and linguistic phenomena prominent in the folds that contain many of the connotations produced by the context, using the analytical descriptive method through the poetic models of the poet's poetry, and then the conclusion of the research and the results of the research and its results Research notes, sources and references.

**.Keywords:** (contents - speech language - revolutionary speech - production

## المقدمة:

إن الإنسان شديد الصلة بالمكان الذي ولد فيه ونشأ على ترابه وهو البيئة التي لها الأثر الكبير في حياته وتكوينه الفكري والنفسي، فالإنسان يرتبط بوطنه ارتباطاً وثيقاً، فتأثير الوطن في الإنسان أمر محتوم، فإن هذه الصلة بين الناس والوطن أوثق في نفوس الشعراء، إذ يعاملونه إنساناً ذا روح وهوية، إذ يضع الأديب الوطن في حقيبتة في بعض قصائده عندما يضطر أن يتركه، ويحملة إلى أي مكان يهرب ويطارده فيه<sup>(1)</sup>، وهذا يدل على روح الوطنية التي تسهم في المحافظة على الوطن من كل اعتداء.

إن الشعراء تغنوا في الشعر الوطني بحب وطنهم واليهام به، وجهروا بأنهم جنوده الذين يبذلون دماءهم رخيصة في الدفاع عنه، ونادوا بما ينبغي أن يكون عليه المواطن الغيور من الصفات، ونددوا بالخائن المارق وأذروه بما سيلقى من وخامة العاقبة وسوء المنقلب<sup>(2)</sup>، ولما كان الأسرى داخل المعتقلات والزنازين، كان ينبوع شعرهم لا ينضب وشموعه تتلألأ لا تنطفئ، فجاءت كلماتهم ثورية جهادية وألفاظهم تلهب الحماس ومعانيمهم توجج مشاعر الكفاح، وكل ذلك ناتج تجربة ثورية نضالية، فقارعوا المحتل فأرغمي بهم في غياهب الظلمات وقيدهم بالسلاسل أثقلت معاصمهم وأرجلهم، ولكن النفس الشعري الثوري لم يخمد لهيبه بالرغم من السجن والقيود والسلاسل والزنازين وأقبيبة التحقيق حيثُ الويلات والآلام والأهات والأنات، فاستطاع الأسرى بأديهم الثوري الانعتاق من الفضاء المغلق والانطلاق صوب الفضاء المفتوح لتنبجس منه رائحة العزة والكرامة والفخر، ولتتفجر فيه دلالات الحرية والتحرر، ولتبعث منه روح الاستقلال واستشراف المستقبل وزيادة الأمل، وليرسم الخطاب الثوري زلزلة أركان المحتل زواله وانحداره وانكساره عن أراضيها المحتلة كافة، فالمتصفح لشعر الأسرى يجد صفحات دواوينهم تعج بكلمات ثورية ومعاني جهادية تنم عن وجود روح وطنية وانتماء حقيقي وصادق للوطن والقضية، كيف لا؟ وهم من افتدى الوطن بأعمارهم وأرواحهم وأنفسهم، فكان منهم شاعر الأسرى/علي محمد عصافرة "أبو محمد"، وُلدَ ببلدة بيت كاحل، شمال مدينة الخليل في 1982/3/20م، فهو الفلسطيني الأصل الخليلي الدار الكاحلي البيت الغزاي المنفي، حكم عليه بالمؤبد، فهو أحد الأسرى الأبطال الذين استغلوا وقتهم حتى تمكن من أن يكون شاعراً متميزاً، يعد من محرري صفقة وفاء الأحرار عام 2012م، حيثُ تم نفيه إلى قطاع غزة، قد طبع له ديوانا شعروهما ديوان اللؤلؤ والمحار 2010م طبع ببيروت ، وديوان الضوء والأثر 2012م طبع بغزة، ولهذا الشاعر تجربة شخصية إبداعية تتسم بالمصادقية والبراعة الفنية في صوغ الخطاب وتشكيله من داخل أقبيبة المعتقلات وزنازين الحقد، ولُقِبَ علي محمد عصافرة بشاعر الأسرى، فجاءت أشعاره كلها تعبر عن حال الأسرى وتمثل شعرهم خير تمثيل، ومن خلال الاطلاع على شعر علي عصافرة نجد أنه يعبر عن قيمة أدبية راقية.

وإذا ما تمعنا في مضامين الخطاب في شعر المعتقلات نجد أنه يحمل مجموعة من القيم مثل (الإيمان والعمل والجهاد والمقاومة والتضحية) وهذه قيم راسخة في وجدان الشعراء المعتقلين وعقولهم؛ لأنها تنسجم مع الروح الوجدانية العامة للشعب الفلسطيني الذي يقاوم الاحتلال بشتى الوسائل وعلى رأسها المقاومة المسلحة والتي يقضي بسببها المعتقلين مؤبداتهم. وشعر المعتقلات يمثل العمود الفقري لأدب المقاومة مع ملاحظة التغير الكبير في المضامين الأخلاقية لهذا الأدب في السنوات الأخيرة بسبب الحالة الجهادية المتميزة التي طبعت بطابع الفكرة الإسلامية، وهذا ما لمس في شعر علي عصفارة الذي اتخذته أنموذجاً، ويسميه البعض بالدور التثقيفي الذي يتطلب من الأديب إنتاجاً أدبياً ملتزماً<sup>(3)</sup>، وهذا انطبق على ديوان الضوء والأثر من خلال التزامه بالقيم الجهادية الثورية، وقد جاءت معظم قصائده لتعبر عن القوة والشجاعة والصبر، وجاءت مليئة بالعنفوان والتحدي والحث على الجهاد والمقاومة، فاحتواء النص الأدبي على هذه القيم إنما هو دليل على البعد الأخلاقي، والقيم لا تنتقص من جمالية النص الأدبي مهما كان جنسه، لأنها سلوك جمالي ينبع من فطرة الإنسان، وقدماً لم يقبل "أفلاطون" الشعر إلا إذا كان مرتبطاً بهذا الجانب؛ لذلك رتب أجناس الشعر حسب دلالاتها الأخلاقية المباشرة<sup>(4)</sup>. ولعل استخدام لفظة المعتقلات دون غيرها، أن الأسير المأخوذ في الحرب<sup>(5)</sup>، بينما المعتقل اسم مفعول من اعتقل: شخصٌ محبوس<sup>(6)</sup>، فمن هنا يُفهم وكأن الفلسطينيين أناس أشرار في حالة حرب دائمة، والصهاينة شعب يدافع عن نفسه، فنجد تسمية أدب المعتقلات أدق من تسمية أدب الأسرى للسبب السالف الذكر.

لذا جاء هذا البحث ليدرس لغة الخطاب الثوري وإنتاجية دلالاتها في شعر الأسرى من خلال ديوان "الضوء والأثر" لشاعر الأسرى علي عصفارة، وذلك بالحديث عن مضمون الخطاب الثوري وموارده في شعر المعتقلات بإجراء مقاربات دلالية تحليلية للنماذج الشعرية التي تجسد الخطاب الثوري المتصاعد في شعر المعتقلات، والكشف عن دلالات اللغة وإنتاجياتها في السياق الشعري وأثرها على المتلقي، مع استحضار نماذج تطبيقية، وتوضيح كل ما سبق بالمنهج الوصفي التحليلي، فعمد البحث إلى تحليل المضمون وإنتاج دلالاته اللغوية، ومن ثم الخاتمة وفيها نتائج البحث وتوصياته، وهذا ما سيحاول الكشف عنه في هذا البحث العلمي الجاد الذي يبين مكونات الخطاب وشيفرته الدلالية وقيمه وموارده التي استقى منها مادته وفحواه.

مضامين لغة الخطاب الثوري وإنتاجية دلالاتها في شعر المعتقلات- ديوان الضوء والأثر أنموذجاً.

يتحدث شعر المعتقلين عن موضوعات ذات مضامين تثويرية وتنويرية تسهم في إذكاء تيار الرفض والتمرد ضد الطغاة الظالمين وأعدائهم، وتوسيع الأفق أمام الأحرار من أجل دحر الظلم والبغاة ومن حط ركبه في رحالهم، فشعر المعتقلات يحمل في طياته كثيراً من الدلالات والمعاني التي ينتجها المعتقل داخل أقبية المعتقلات وزنازين القهر والقمع والحرمان، فالمعتقل يحمل رؤية للحياة ويعبر عن

فلسفته بأفعاله ومن ثم أقواله، فهو حراً فعلاً وقولاً ونستدل على ذلك من خلال شد وثاقه في غياهب المعتقلات من قبل الطغاة المحتلين، فلسطين هي الموضوع وهي القضية وهي البداية والنهاية، وهي الدافع إلى الكتابة وهي الغاية من الكتابة<sup>(7)</sup>، فالناظر إلى الخطاب اللغوي في شعر المعتقلات يجد أنه خطاب ثوري بامتياز، فهو أدب يقارع المحتل ويواجه الظلم، لا ينجي ويتبرج في أفاظه ولا يتميل في معانيه وأفكاره، إنه لهيب ينذر بالعاصفة التي تجيش بها الصدور وتلهب بها حشاشة من يقبعون تحت وطأة الظلم والقهر وفي أقبية التحقيق وفي زنازين المعتقلات، فالناظر إلى شعر علي عصفرة يلمس ذلك واضحاً، ويمكن بيان اللغة الشعرية المتدفقة في ثنايا مضامين الخطاب الثوري وموارده في شعر المعتقلات، على النحو الآتي:

استنهاض الهمم في الخطاب الثوري بأسلوب يلهب حماس المتلقي، من جراء ما حل بالوطن المنخن بالجراح، فما هو ذا يصور غزة المحاصرة التي ما زال كلمها يتنزف من جراء حروب سحقت دمرت البشر والشجر والحجر، كل ذلك أمام مرأى ملايين من بني البشر، فيقول في قصيدة له بعنوان "شأن العزيز أيام معركة الفرقان، الحرب على غزة"<sup>(8)</sup>:

فمساجدٌ درست وطيح برسماها ومنازل فوق الأيامى هُددت

وطفولةٌ وُتدت وأرحام بها ذُبح الجنين، فمن نصير الأمة؟

نلاحظ أن كلماته تنطلق من واقع مؤلم لما حلّ بأهل غزة من دمار وقتل وتشريد، وفي الوقت نفسه يتساءل عن يناصر الأمة في ما آلت إليه، فاستخدم خمسة أفعال للدلالة على دوام المصائب والفواجع لما تشهده الأمة من وهن وذل وهوان، ومن ثم استفهم مستهجنًا ومستنكرًا عمّن هو الذي سيناصر الأمة ويشد أزرها، ومستخدماً أداة الاستفهام (مَنْ) التي يستفهم بها عن العاقل فتكون الإجابة بذكر اسمه أو صفته<sup>(9)</sup>، وقد وضع السكاكي أن (مَنْ) تستعمل للسؤال عن الجنس من ذوي العلم<sup>(10)</sup>، أي أن شاعرنا يسأل عن علم وكأنه الشاعر العليم ليحدد الجنس والجهة التي ستناصر شعوب الأمة العربية الثائرة والمظلومة، أما نمط الجملة في الخطاب فقد استخدم الشاعر الجملة الاسمية التي خبرها جملة فعلية تدل على الثبات والاستقرار والتأكيد<sup>(11)</sup>، والجملة الفعلية تفيد التجدد والدوام والحركة، فاستخدم هنا الشاعر في الخطاب الجملة الكبرى وهي الاسمية التي خبرها جملة<sup>(12)</sup>، وفي هذا دلالة على الانعتاق من الفضاء المغلق إلى الفضاء المفتوح حتى على مستوى نظم الجملة ونمطها، ويقول أيضاً<sup>(13)</sup>:

في غزة الإسلام يثعب<sup>(14)</sup> جرحنا أروى الرّمال وبالدماء تحنت

إن التقديم والتأخير بابٌ كثيرُ الفوائد، جَمُّ المحاسن، واسعُ التصرّف، بعيدُ الغاية، لا يزالُ يفتنُّ لك عن بديةٍ، ويُفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروكُ مسمّعه، ويلطّف لديك موقعه، ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أن راقك ولطفَ عندك، أن قديم فيه شيءٌ، وحول اللفظ عن مكانٍ إلى مكان<sup>(15)</sup>،

وهذا ما لمستته في شعر الأسرى الذين يمثلهم علي عصفارة بديوانه (الضوء والأثر) باعتباره شاعر الأسرى، والذي حدث في هذا البيت تقديم على نية التأخير كما قال الجرجاني في دلائله، فالتقديم هذا هو الأبلغ<sup>(16)</sup> في تصوير غزة منبع العزة والكرامة والحصن الحامي لأمة الإسلام والمسلمين. خطاب موجه للمجاهدين بلغة عسكرية، تعكس مدى رباطة الجأش وبسالة التصدي للعدوان الصهيوني، يقول:

لله غزّة ما أبرّ كرامتها  
صنعوا الملاحم رغم هول المحنة

يمتدح الشاعر هنا بسالة أهل غزة بجهادهم ومقارعتهم لعدو الله، فانتقى الشاعر هنا ألفاظاً ثورية عسكرية وهي (الكمأة<sup>(17)</sup> - الملاحم- هول). ففيها ثناءً ومدحٌ لأصحابه، كما قال عنتره<sup>(18)</sup>:  
ومدح كره الكمأة نزاله  
لا ممعني هرباً ولا مستسلم

فيمدحهم بالقوة والشجاعة والبطولة وشدة العزم، فهم الأبطال الذين يقبلون على الموت؛ لتوهب لهم الحياة، يصبرون على المكروه وهم يسمعون صيحات الفرسان في غمرة الميدان. يبحث في خطابه الثوري على التضحية والفداء، من أجل العزة والكرامة، فيقول<sup>(19)</sup>:

فدى تراها بالنفوس كرامها  
أطفالها ونساؤها فاعتزت

صور الشاعر مدى التضحية والفداء في الثورة على العدو الغاصب، ورخص الأرواح في سبيل تحقيق الحرية بالثورة على ظلم الاحتلال وجبروته والكفاح والجهاد والنضال والمقاومة من أجل عزة الأمة وكرامتها، فالرجال والأطفال والنساء قد جادوا بأنفسهم لوطئهم الغالي فمنهم من نال الشهادة ومنهم من ينتظر ومنهم من ألقى في غياهب السجون ولكنه افتدى الوطن وضحى بعمره وبنفسه داخل المعتقلات مبتعداً عن ملذات الدنيا ونعيمها الفاني.

لغة الخطاب الثوري ممتزجة بروح الطبيعة، وبجمالها وورافة أشجارها؛ لتناسب بها الروح في صورة فنية مشرقة من وحي الجمال وعالم الحرية والخيال، وتراكيب مختلطة بدافع ثوري وثاب، ينطلق من عقيدة راسخة وإيمان قوي بقضية وطنه السليب، فيقول الشاعر في قصيدة بعنوان "ليلة سحرية"<sup>(20)</sup>:

والريح تبعث في الغصون حياتها  
تأبى الخمول وهجعة الأحفاد

وتهمز أوراقاً علمها أغبرت  
فإذا النقاء على الوجوه ببادي

فهمزنا الإصلاح هزة عاشق  
للخلد تنسى قسوة الإفساد

والوواد في ظلماته وسباته  
لا ربح فيه ولا ضياء هادي

فيلاحظ أن شعر المعتقلات ينطلق من عمق التراث العربي العتيق، فانفتحو على الماضي وشربوا

من نبعه، فشاعرنا قد تضمن كلامه، من شعر ابن خفاجة الأندلسي في قوله<sup>(21)</sup>:

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

وكذلك ربط الوصف بالواو والفاء مما زاد تماسك النص وإنتاجيه دلالاته في الخطاب الشعري بين الأسير والمتلقي، ويأتي التعبير بالجملة الاسمية والفعلية متقاربين في القصيدة، وإن كانت تقترب من شعر الغنائيين، وترتبط بالإنسان المرابط فوق هذه الأرض، والاسمية تحمل من الدلالات ما لا تحمله الفعلية، ومن ذلك دلالة التأكيد مثلاً، وهي ما أشار إليه ابن الأثير في حديثه عن (الخطاب بالجملة الفعلية والجملة الاسمية والفرق بينهما) حيث يقول: "وإنما يعدل عن أحد الخطابين إلى الآخر لضرب التأكيد والمبالغة"<sup>(22)</sup>.

لغة استهجان من أن الأحرار مغبونون في عالمنا المعاصر، الذي يتسم بالعدوان الصارخ على شعوب الأرض المستضعفة والهيمنة عليها ونهب خيراتها، فيقول الشاعر<sup>(23)</sup>:

ما أعجب الدنيا يعزز ذليلها وكريمها بثياب عيش رثة

يتعجب الشاعر من حال الدنيا وتقلبات الحياة؛ ففيها الذليل المهان الضعيف عزيز، وفيها الكريم الأصيل الصابر الحر، معيشته لا تخلو من الضنك والضيق في هذه الحياة، فأصحاب الفضل في أوطانهم غرباء.

يدعو أبناء وطنه وشعبه للجهاد والمقاومة والانتفاض في وجه الظالم، فيقول الشاعر<sup>(24)</sup>:

نعم

فانهض

ومد الجذر في الأعماق قنبلة

وحمل غصنك الإيمان والمدفع

وقاوم سطوة المنتشار

لا تركن

بدأ الشاعر المقطع الشعري بالتأييد والأمر بالنهوض والثورة في وجه الغاصب المحتل، ومن ثم عمد لاستخدام ألفاظ توحى بالثورة والجهاد والمقاومة وهي (قنبلة- المدفع- قاوم- سطوة- المنتشار) وختم هذا المقطع بالنهي عن الركون والاستسلام والخضوع للمحتل، فسخر الإنشاء من أجل التعبير عن الروح الثورية المتجددة من أجل الثبات على الأرض وتحريرها.

يصور شجاعة المجاهدين من إخوانه في رثاء حارلهم، في قصيدة بعنوان "بكاء الرجال"<sup>(25)</sup>:

إنني رزئت بثلة أدناهم بكتيبة إن عجز قلب الوقعة

أشراف قوم لا يضار نزيلهم وإذا استحثوا خيلهم لم تهبت

|                             |                            |
|-----------------------------|----------------------------|
| قد أجلبوها حرة أنسابها      | جأبوا بها أنف الصعاب فذلت  |
| وأبر من حمل اللواء فوارس    | بهم إذا عز الفداء تفدت     |
| خاضوا المنايا لا تمل نعالهم | دوس العداة ولا لهيب العرعة |
| قد أقسموا أن لا تغل لهم يد  | ذوداً عن الحرم الأسير فبرت |
| علق المنون بهم فأمسكهم هوى  | والموت إن تمسك فليس بمفلت  |

إن الألفاظ التي استخدمها الشاعر جاءت تحوي في طياتها روح الجهاد والشهادة والثورة في سبيل التحرر والنيل من عدو الله في أرض المعركة، فيلاحظ التوكيد والخبر الذي يدل على الثبات على النهج الصحيح والتمسك بالجهاد والثورة ضد الأعداء، بينما جاءت الأفعال والجملة الفعلية المؤكدة للدلالة على التجدد الاستمراري في أرض الجهاد والاستشهاد والسير على طريق الثورة والثوار. فالجملة تقتضي في نظمها أثار المعاني وترتيبها حسب ترتيب المعاني في النفس، والمعنى وشيجة داخلية تصل بين كلمات الجملة فمعنى الجملة لا يتعلق بمعاني الكلم المفردة بل يتعلق بها وهي في ترتيب مخصوص بهذا المعنى<sup>(26)</sup>، والألفاظ تبع للمعاني ولا حقة بها.

يصور ثبات الثوار بالزيتون، الذي يعد رمز الثبات على الأرض، ولغة الخطاب عاطفية بامتياز فيها غنج ودلال، وذلك لمحبة الأرض وأشجارها، ولما للزيتون من سيميائية في الوجود الفلسطيني، فيقول الشاعر<sup>(27)</sup>:

تميس بغصنها الزاهي  
كراقصة  
ولا تروى...  
سوى من جبهة الفلاح عاشقها  
إذا صب الهوى تخلع  
ولون الزيت في المدمع  
وفاض النور من عرق  
ليذكي نار ثورتنا

استخدم الشاعر هنا علامة الحذف التي ينبغي أن نلمح هنا الشاعر قد يعتمد عمداً إلى ترك بعض الفراغات أو الثغرات التبليغية في نصه؛ بهدف توظيفها توظيفاً فنياً، تاركاً لاجتهاد القارئ وفننته وحسن توجهه للمعنى فرصة ملء هذه الفراغات تأسيساً على المعنى الكلي للنص أو وحدة الدلالة، فمن هنا يصبح موقف القارئ من النص أكثر إيجابية<sup>(28)</sup>، ومن ثم ربط النص بواسطة أداة العطف الواو التي تفيد مطلق الجمع وهو التثنية في أصل الحكم أو في بعض صفاته أو في لازم المُسَمَّى إمَّا

ذها أو عرفا وَنَحْوِ ذَلِكَ من الْجِهَاتِ الجامعة لِأَقْتِصَاءِ الْعَطْفِ<sup>(29)</sup> لتجسيد صورة الألم والثبات رغم المعاناة وقسوة الحياة.

وصف ثورات الأحرار في البلدان العربية، فيقول في قصيدة بعنوان "صباح النصر"<sup>(30)</sup>:

لقد سقط الطواغيت

وهد البؤس والقهر

عصا الثوار قد لقت

حبالاً ألقىت تسعى

أفاعي صاغها الكبر

صباح الحق مؤتلفا

صباح العزيا مصر

فغزة طالبها الظفر

يتضح النفس الشعري الثوري في هذه الأسطر فالتدفقات الشعورية جاءت مستبشرة ومتفائلة من خلال عنوان النص، وجاءت مؤكدة بأن النصر قد تم في ثورات الربيع العربي وسقوط الدكتاتورية الظالمة والطواغيت ونسف البؤس والقهر الملقى على عاتق الشعب المصري، وبدأت الأوطان تستنشق عبير الحرية وطيب شذاها وكل ذلك بالتشبيه والاستعارة والكناية عن قوة الثوار كقوله (هد البؤس والقهر- عصا الثوار- أفاعي صاغها الكبر) وكاستخدامه الترميز على الثورة بالصباح فأشار الشاعر على قريب على سبيل الخفية<sup>(31)</sup>، والتضمين من القرآن في قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ (طه: 20) فزاد المضمن في كلامه نكتة لا توجد في الأصل كالتورية والتشبيه<sup>(32)</sup>، ويشتم من هذه الأسطر رائحة الثورة والعزة والكرامة والحق والحرية.

وقال في قصيدة له بعنوان "يا شام"<sup>(33)</sup>:

يا شام أنت أميرة الثوار

قد أمهروك نفوسهم

فتخضبي بدمائهم

وتكلمي بالغار<sup>(34)</sup>

خاضوا الحتوف أسنة

وبيارقا<sup>(35)</sup>

بدأ الشاعر بطلب الإجابة لأمرٍ ما بحرف من حروف النداء يُنوبُ مَنْابٍ "أدعو"<sup>(36)</sup>، لتوجيه الدعوة إلى المخاطب، وتنبيهه للإصغاء، وسماع ما يريد المتكلم<sup>(37)</sup>، والحرف هنا هو (يا) لكل مُنادي، قريباً كان، أو بعيداً، أو مُتوسطاً<sup>(38)</sup>، والغرض من النداء هنا لتأكيد وتعظيم مكانة الشام والتنبيه على مكاتبتها؛ لأنها سوط الله في الأرض، ينتقم بهم ممن يشاء من عباده<sup>(39)</sup>، واستخدم قد للتأكيد على



تحقيق<sup>(40)</sup> التضحية والفاء والبذل والعطاء من أجل تحرير الشام من الطغاة الظالمين، ومن الملاحظ أنه استخدم ألفاظ ذات دلالات ثورية وهي (أميرة الثوار، أمهروك، تخضي بدمائهم، خاضوا الحتوف أسنة، بيارق)، وكذلك استخدم أدوات الربط (الفاء- الواو) مما أدى إلى تماسك النص وتحقيق دلالاته وانفتاحها على المتلقين في كل الأزمنة، بل هناك نظم الجملة له دلالاته، ونوع الفعل له دلالاته، واختيار اللفظ المعبر له دلالاته، وإن كانت دلالة النشوء في الفعل ظاهرة؛ لأنه يدل على الحركة، وهي تقتضي التجدد، فهو- كذلك- أقدر من الاسم على التصوير الحركي، وربما تظهر تلك الدلالة بصورة أوضح.

لغة الخطاب تصف العمليات الثورية والعسكرية ضد العدو الجاثم على الأرض المنتهك للعرض والغاصب للدار، فيقول الشاعر، قصيدة له بعنوان "سلمت يمينك" الخليل بعد صمت طويل تكلمت عملية نشأة الكرمي<sup>(41)</sup>:

|                               |                              |
|-------------------------------|------------------------------|
| داو الجراح وأيقظ الأفراحا     | واترك عدوك في الدما سياحا    |
| داو الجراح فقد أيسنا بُراها   | طول العناء يورث الأتراحا     |
| مكث الذليل على الكرام مسيداً  | مقت وذل يزهق الأرواحا        |
| يا ابن الخليل وفارساً متهجماً | أوفي البيان إلى الورى إفصاحا |
| وهمُّ إذا زعموا الحراب تكسرت  | أن الرعاع تملكوا المفتاحا    |
| أن الحماة استمرأوها ذلّة      | وتناولوا فوق الأسى الأقداحا  |
| سلمت يمينك قد بعثت حياتنا     | من قبوها وأريتها الإصباحا    |
| إننا إذا جف العطاء وأمحلت     | جدنا وكان عطاؤنا مسحاحاً     |
| نذر الكلاب إلى القطيع نجزه    | والكلبُ حول خبائنا نباحا     |
| فانظر دمء الغاصبين مسيلها     | في شارع الستين كان سفاحا     |
| هام العدا خلقت لها أسيفنا     | ولهامنا خُلق العلا وضاحا     |
| وخولنا من عزمنا في غبطة       | وتخالها وسط الرحي أرياحا     |
| إن الرياسة مركبٌ حجرٌ لنا     | أن نعتليه على الورى سياحا    |

افتتح الشاعر النص بفعل الأمر هو طلب حصول هذا الفعل<sup>(42)</sup> من المخاطب على وجه الاستعلاء<sup>(43)</sup>، ومن ثم أخذ يستعرض حال الأمة والشعب وما عاناه من ويلات وظلم وقهر من الاحتلال، وبعد ذلك يخاطب أبناء شعبه من خليل الرحمن من أجل استنهاض الهمة والثورة على الباغي الذي اغتصب الدار، وانتهك العرض، وجاس المدن والقرى والمحافظات ظلماً وطغياناً، ويستجدي الشاعر النفس الثوري في مدحه لمنفذ العملية الاستشهادية نشأت الكرمي من الخليل، ويركز على الإشادة بقيم البذل والعتاء والتضحية والقداء في سبيل الله والوطن، ومجاهمة المحتل الغازي الذي جثم على أرض فلسطين، وملاحقة الطابور الخامس والفاستدين الذين جروا على الشعب الولايات، فالتائر الحر لا يهمة نج الكلاب وعوانها، كما لا يضر السحاب نباح الكلاب<sup>(44)</sup>، ومن ثم يفخر الشاعر بصنيع الثوار الأحرار الذين أذاقوا العدو مر الكأس وجرعوه غصص النزال في أرض المعارك، فيها هي دماء الغاصبين تسيل في شارع الستين وسط ذعرهم وخوفهم من سواعد الأبطال وهاماتهم التي تناطح الجوزاء، لا يهابون المنون يزحفون مع كل واد، ويردون حياض غيتم<sup>(45)</sup> لينالوا الجنة التي مهرها النفوس، فقال(ﷺ): "أبواب الجنة تحت ظلال السيوف"<sup>(46)</sup>.

ومن يختم قصيدته بالتأكيد أن الرياسة والظفر والنصر والتمكين يكون للمجاهدين والثوار الذين رووا بلادهم بدمائهم الطاهرة والزكية وجادوا بأنفسهم في سبيل الله، وينبغي لمن كان صادق الرغبة قوي الفهم ثاقب النظر عزيز النفس شهد الطبع عالي الهمة سامي الغريزة أن لا يرضى لنفسه بالدون ولا يقنع بما دون الغاية ولا يقعد عن الجد والاجتهاد والجهاد المبلغين له إلى أعلى ما يراد وأرفع ما يستفاد فإن النفوس الأبية والههم العلية لا ترضى بدون الغاية في المطالب الدنيوية من جاه أو مال أو رئاسة أو صناعة أو حرفة.

نلاحظ مما سبق أن النفس الثوري يجلب ألقاظا ثورية ومعاني تحمل في طياتها الكثير من المعاني الجهادية الاستشراافية لواقع الأمة وحالها المعاصر، ففلسطين هي من جادت لها الأرواح والنفوس بالغالي والرخيص من أجل التحرر ونيل الحرية والعيش بكل أمن واطمئنان.

يعتز بالإخوان ويفخر بجهادهم وثورتهم، وله قصيدة "ثار الغرام" التي نظمها في انطلاقة حماس في الذكرى الثالثة والعشرين، يقول فيها<sup>(47)</sup>:

|                            |                                  |
|----------------------------|----------------------------------|
| عزوا فعزبه الحمى والدار    | ثار الغرام إلى إلى الألى من جحفل |
| وحماسنا الإصباح والأنوار   | اليوم آفاق الكرامة أشقرت         |
| وحماس في عين الزمان فخار   | عشرون عاماً قد مضت وثلاثة        |
| فشروا النفوس وطابت الأقدار | أرخوا عنان الخيل في ساحاتها      |
| وعلى المتون فوارس أظهار    | خيل قوائمها الياسين مد جناحه     |

كالوا فأوفوا كييلهم لعدوهم  
ومع الكيل مذلة وصغار  
كم غارة ذاق اليهود وبالها  
والموت في ساحاتهم دوار  
حيفا ويافا والخليل وقدسنا  
في كل ساح العدو تبار  
كُنّا قبيلَ حماس في أوطاننا  
غرباء فضت حولنا  
لا الليل ليلاً تستلذ زُقادَه  
مثل الطيور ولا النهار  
أ. ح. أ.

افتتح الشاعر النص بالاستعارة حيثُ شبه الغرام بإنسان يثور فحذف المشبه به وهو الإنسان وصرح بالمشبه وهو الغرام علي سبيل الاستعارة المكنية وسر الجمال في ذلك تجسيد المحبة بين الإخوان وبيان مدى التمسك بالمبادئ والثوابت الوطنية، فالاستعارة أنها تعمل على إيجاد عالم جديد غير العالم المألوف للآخرين، أو تغفل الفوارق بين الأشياء لوجود علاقة كامنة<sup>(48)</sup>، فهو يكيل المدح ممتزجاً بالفخر لحماس وجمهورها مستخدماً ألفاظ توحى بمجملها بالروح الثورية التحريرية التي تمهفو إلى طرد المحتل وهزيمته وبيان عورته أمام دول العالم الحر، ويقول واصفاً زمانه مفتخراً بقوة المجاهدين من أبناء شعبه<sup>(49)</sup>:

ولى زمان تُستباح ديارنا  
ويقيل في أفيائها الفجار  
هذا زمان المرهفات من القنا  
والضامرات بعدها الإعصار

ففي هذا نفص للذل ورسم لدرّب العزة والكرامة بنفس ثوري وروح جهادية مستبشرة بالنصر. لغة خطابية ثورية تتسم بالنقد واللوم اللاذع والاستهزاء بمن يصفاح المحتل ويطلع معه ويرتعي ثملاً في أحضانه موكل له أمره وموالي له جميع أعماله، فيقول في قصيدة بعنوان " ثورة العهر"<sup>(50)</sup>:

قاوم بغانية وكأس  
بالعري والعهر المنظم في شوارعنا الجديدة  
بالسكسفون بكل آلات الطرب  
في ساح رام الله والبيرة المجيدة  
يصور الشاعر الإنسان الدنيء الذي باع دينه ووطنه بعرضٍ من الدنيا، ويمد يديه للمحتل ويصافحه ويعانقه ويطلع معه ويتبرنج أمامه وهو ثمل، بأنه إنسان عاهر يعزف بآلات الطرب ويرقص طرباً على أشلاء الشهداء وآهات الجرحى وأهالي الثكلى وأنات الأسرى- وللأسف- من أبناء جلدتنا في مدننا المجيدة التي قدمت وضحت.  
وقال أيضاً<sup>(51)</sup>:

شكل جديد لام الأطر الجديدة

ومدنا مع ذا قيثارة وكأس فاره

فكأسكم فياض يا معللي

يمدنا بالسكر أعواماً مديدة

آدابنا رجعيةً

فأعلن عليها ثورة يا ملهم القيم الرشيدة

والعهر يصنع ثورة

وثورة العهر بأشكال عديدة

ويستهزئ الشاعر بمن يحتسي الخمر مع الشبان اليهود في منتديات ثقافية وفي أشياء ما أنزل الله بها من سلطان، ويتهمك الشاعر ممن يوسم الثوار والمجاهدين بأنهم رجعيون، ولكن رب ضارة نافعة، فالعهر يصنع الثورة وينذك روح الثوار من أبناء الشعب بالفساد حتماً يولد ثورة وخير ما يدل على ذلك ثورات الربيع العربي التي هبت في وجه الفساد والعهر والظلم.

التأكيد على أفعال الثوار وأقوالهم، والتعبير عن ذلك بلغة الجهاد والاستشهاد والمقاومة في الساحات الثورية وميادين الوغى، فيقول الشاعر في تصوير الحكام<sup>(52)</sup>:

دقوا الكؤوس على الجراح فأسكروا      حكامنا ومن الحياء تعرت

صمتوا على نرف الجراح مهانة      واستمروا طعم الخنا والذلة

والصمت لحدّ ضمّ في جنباته      رأس الكرامة والوفاء والعزة

لغة الدماء فصيحةً لكنهم      مردوا<sup>(53)</sup> على لغة النفاق فذلت

يذكر الشاعر أن الحكام العرب في حالة سكر منذ قديم الزمان وذهب ماء الحياء من وجوههم، وصمتوا في حالة ضعف وهوان مميتة، وعشقوا طعم النذل والفساد، وقبروا القيم والشيم العربية الأصيلة كالكرامة والوفاء والعزة، ومن ثم يستشرف السيل الوحيد لنيل الحرية وهي لغة الدماء الفصيح التي يفهمها العدو لا لغة النفاق والتطبيع والمفاوضات العبثية من فوق الطاولة وتحتهما، إن الشاعر يستصرخ أصحاب العزيمة القوية والهمة المتوقدة التي تشعل ضرام المعتبرك، وتلهب من سولت نفسه بالمزيدة على الثوار وموكب فيلهم الذي يشق طريق الحرية والنصر.

التمسك بدرب الجهاد والاستشهاد والثورة على البغي والظلم، فيقول في قصيدة بعنوان "غدي أمسي" مستدعيًا ماضيه ومستحضرًا واقعه ومستشرفاً مستقبله<sup>(54)</sup>:

غدي يومي

ويومي من بني أمس

وأمسي نطفة الشجن

وروح الخوف واليأس  
وأمني..  
فرقة الأحباب والشهداء والوطن  
وأسي معلم الرسم  
فهل أحيأ  
بأي دم  
وأي غد؟  
وهل رحم ولدنا فيه ننسأه؟!  
وهل ننسى مريأه؟!  
وهل في العمر متسع  
لنولد مرة أخرى؟

ينطلق الشاعر بعزيمة قوية وهمة عالية ممتزجة بمرارة الأسر التي تشعر بالألم والقهر والحيرة والحرمان والظلم، مستخدماً الاستفهام للسؤال عن المستقبل المجهول، والتكرار القائم على ترديد لفظة من التركيب الأول في الثاني، فالدال "غدي) يتلاشى في السطر ويتكرر "يومي" ثم يتلاشى في السطر الثالث ويتكرر "أمسي"، والعلاقة بين الدوال المتكررة علاقة تراسل حيثُ تتداخل المفردات تداخلاً تراسلياً تذوب فيه حدود الدلالات القاطعة، أو يتعد الدال عن مدلوله، وتكون العلاقة بين الدوال المتكررة تفاضلية تحدث نوعاً من المقارنة بين دالة طرفين، ينتج عنها دلالة جديدة جامعة بين مضمون الطرفين السابقين<sup>(55)</sup>.

ويلاحظ هنا أن الدال المهيم "أمسي" قد تكرر بعد التراسل مرتين ليكون بؤرة النص، وهو ما يثي به عنوان النص: "غدي أمسي"، وهو ما يعكس أحاسيس الأسير الذي يعيش الحاضر في الماضي، بما يحويه من مخزون تذكري، ومع قسوة معاناة انعزاله عن حاضره يجعل أمسه رسمه، ثم يتساءل: فهل أحيأ؟ تناقضات نفسية قد توصل صاحبها إلى الضياع لولا الإيمان الراسخ والعقيدة الثابتة، والاحتساب والصبر ابتغاء رضا الله تبارك وتعالى.

الاستهزاء بالخطاب الثوري للحكام العرب، فقال في قصيدة بعنوان "الخطاب الثوري على أثر خطاب القذافي 2011/2/22م"<sup>(56)</sup>:  
وقال. وقله الفصل:

أنا المجد

أنا العز  
أنا للأمة الجد  
أنا الشعب

أنا الوطن  
أنا البحر  
وبطشي الجزر والمد  
أنا التاريخ والماضي  
وحاضرکم  
ويقول:  
أنا ..نا..نا..  
ونا ..نا..نا..  
وثمة بعد ذا بعد

يستهنئ الشاعر في قصيدة الخطاب الثوري بالقذافي الذي يقدس نفسه ويفخر بها، ولا يعترف بمن سواه من أبناء أمة العرب والإسلام، حتى على صعيد التعبير والألفاظ أكثر من استخدم الأنا والضمائر التي في مجملها تعبر عن الحالة النفسية والشعورية التي تشعر بجنون العظمة وحب الرئاسة والسيادة، ولعل ترديد كلمة أنا وتكرارها فيه دلالة على حب النفس وإظهارها على خلق الله، والتعدي على الذات الإلهية في بعض خطابات ورسوماته، وهذا دليل على الهزيمة النفسية أمام الجماهير والشعوب والشعور بالدونية، لأنه مولع أبداً بالافتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده<sup>(57)</sup>.

يلوم العرب وحمود شيمهم وضعفهم وهوانهم وانغماسهم في عالم الشهوة والملذات الذي يؤدي إلى الهلاك والمعصية مما ينتج عنه هزيمة وهوان بين دول العالم، وكذلك يستهجن صم العالم وغطرشته وغض بصره حيال قضية فلسطين وما يحل بمدننا وقرانا من أسر واستيطان ونهب للإنسان وللشجر وللحجر، فيقول الشاعر<sup>(58)</sup>:

والعرب سكرى والعوالم تشهد  
والكل يبصر والعيون عوار  
وقوله أيضاً<sup>(59)</sup>:

أراك منعماً تخمماً فهلاً  
أما أعيالك كالمخمور مكث  
تنام خلي الذهن لا تبالي  
حساؤك مشتهى من كل صنف  
أنخت الذل واقتدت السلاحا  
على النعماء تحتضن الملاحا  
ودم أخيك قد ملأ البطاحا  
وغزة تحتسي اليوم الجراحا  
أما هزتك أشلاء الضحايا  
وأشباه الموات ترى قداحا

أصخر أنت لا يعرّوك وجد وقد فقد الفطيم أبا فناحا

أصخر أنت لا يبكيك طفل كسير القلب قد فقد الجناحا

صور الشاعر في خطابه الثوري حالة الحكام العرب، وهم في سكر وتخمة ونوم وعبث ولهو مجون، ومن ثم بين حال غزة وهي تذبج والعرب لا يحركون ساكناً، فالأشلاء تناثرت والبيوت تطايرت والأشجار قلعت والحجارة بعثرت، والرجال فقدت والنساء ترملت والشيوخ قتلوا والأطفال ناحوا وضربوا، كل هذا والعرب سكارى في حالة ثمل وسبات عميق بلا إفاقة فقلوبهم كالصخر بل أشد قسوة، واستخدم الشاعر أسلوب الاستفهام بحرف الهمزة للسؤال عن مفرد<sup>(60)</sup>، والغرض من ذلك الاستنكار والاستهجان من حال العرب وصمتهم.

وقوله أيضاً<sup>(61)</sup>:

شكل جديد لام الأطر الجديدة

ألوان لوحاتكم - فخامتكم-

على التاريخ معجزة فريدة

فلقد خلت من حمرة العنف المسلح والردى

من سمرة الرشاش في الكف الطريدة

يتحدث الشاعر عن السياسة الهوجاء التي يتبعها الغرب مع أمة العرب، بهدف نهب خيراتها والتحكم في مقدرات شعوبها، ويستهزأ بالحكام العرب ويبين عارهم الذي جلبوه على أنفسهم وعلى أمتهم، بتفاوضهم مع المحتل والتطبيع معه وخلو صفحاتهم من النضال والكفاح المسلح والثورة وامتشاق السلاح في وجه العادي، ولعل استخدامه الاعتراض لتوكيد الجملة وتقويتها<sup>(62)</sup>، وليبرهن على ذلك الحال، وهذا الاعتراض جار مجرى التأكيد<sup>(63)</sup> على الحال الذين هم فيه من الكبرياء والتسلط والدكتاتورية الظلمة.

يرسم مذهب الثوار الأحرار بإعراضهم عن الدنيا ومتاعها، وحلمهم بالالتحاق بركب الشهداء، وذلك بقوله في قصيدة بعنوان "مذهب الحر"، يقول فيها<sup>(64)</sup>:

سأترك شاطئ الشعر وأسلك لجة البحر

بعيداً عن هوى نفس تهيم برية الخدر

عميقاً حيث لا غزل يلهمي عن جنى الدرّ

سأهجر رقة النغم تفتّرهممة الفكر

واعقر ناقية الأحلام تقصد مسلك القفر

|                       |                  |
|-----------------------|------------------|
| ضـياع أن تعـيش العمـر | بين اللحن والشعر |
| سأـمضي حيـثُ أفـعالي  | تجاري حومة الصقر |
| وأقصد ربة الثوار      | تمحو معلم القهر  |
| وأدرك موكب الشهداء    | مقدماً على الجمر |
| وأحفظ عهدهم بدمي      | وهذا مذهب الحر   |

يصدق لنا الشاعر من بنيات أفكاره من داخل أسره، ليصدق بكلمات عذبة رقيقة المآخذ ثورية الهدف، تبين مذهب الأحرار الأبطال ونهجهم في هذه الحياة، وكيف ينظرون للحياة ورونقها، وأي حياة التي يطمحون إليها، وماذا يتمنى الأسير داخل معتقله، وكيف ينظر لرفقاء دربه في الكفاح الذين قضوا نعيمهم منهم والذين ما زالوا ينتظرون، فالشاعر يتمنى أن يدرك موكب الشهداء الذين هم أكرم منا جميعاً، ويرسم نفسه الثوري ويترجمه بلغة الدماء لتتناقله أجيال الحرية ويكون معيناً لا ينضب في النضال، ومثالاً يُحتذى به في عالم الثوار الأحرار الأبطال، فالشاعر في هذه اللوحة رسم لنا صورة أدبية ثورية رائعة متماسكة، فسبك الجمل وجعل كلماتها تتعلق بعضها ببعض؛ للدلالة على معنى مخصوص بوضع كلماتها في هذا التركيب، ويرى الجاحظ أن النظم هو ما وافق اللفظ لمعناه، وتأليف الألفاظ وحسن تنظيمها قال: "وأجود الشعر ما رأيت من متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ واحداً، وسبك سبكا واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"<sup>(65)</sup>، وكذلك استخدم الشاعر الفعل المضارع المقترن بالسين الدالة على التنفيذ والاستقبال<sup>(66)</sup> وهي: (سأترك- سأهجر- سأمضي) وذلك لاستشراف المستقبل وتقريب وقوعه<sup>(67)</sup>.

توجيه الخطاب الثوري للمتخاذلين والمتأمرين على قضية شعبهم<sup>(68)</sup>:

قم واغتسل

وأنا أدلك كيف تصبح سيذا؟

في خطوتين

طريق عزك والنقا

قم وانتفض

والبس نقاباً واحتجب

كن حرة من غزة

كن ثوبها

أو نعلها

تغدو ملاكا طاهراً



أو حرنفسك سيدا

يأمر الشاعر المتخاذلين ومن زينت لهم أنفسهم سوء أعمالهم بأن ينهضوا ويهبوا ويتطهروا من أدران التآمر والتجسس على الشعب وخذل الأمة، ويفتخر الشاعر بنهجه بقوله "أنا" وهذا يدل على مدى قوته انتمائه لوطنه ولقضية أمته وشعبه، من ثم يدعو للانتفاض والامتثال لكل فئات الشعب حتى المرأة الحرة التي في غزة الأبية، وينصحه بأن يضم صوته لها لا أن ينقض عليها ويتآمر، حتى يغدو طاهر الجسد والروح ويكون حراً سيداً معززاً على ثرى بلاده.

الاعتزاز بالأهل في الخطاب الثوري والافتخار بالعائلة الثائرة والمجاهدة، فقال في قصيدة:

السنبلة<sup>(69)</sup>:

|                   |                    |
|-------------------|--------------------|
| ولبي منيها تسامها | خلقت كحبة القمح    |
| عقيد الدار حامها  | فراشي شامخ وأبي    |
| وأخوالي نواصيها   | وجدي غرة البلد     |
| إذا اهتزت عواها   | وأعمامي فوارسها    |
| محاريب التقى فيها | وعماتي وخالاتي     |
| إذا ألقنت سوافها  | وهن عن السورى حجب  |
| فحولا في مرابيها  | بئذا أبناؤهم شهبوا |

استخدم الشاعر التصوير الحدتي يعني توظيف النص لمشاهد خارجية مماثلة لحالة المتكلم، أما التمثيل الكنائي فإن أبسط صورته هي أن تقول الكلمات شيئاً وتعني شيئاً آخر وراءه، فهو ينهض على المعادلة<sup>(70)</sup>، فمثل العائلة بالسنبلة ونفسه بحبة القمح وفي هذا دلالة على القوة والتماسك، فذكر حمولة عائلته المجاهدين والثائرين في وجه الظلم والاحتلال، ورسم صورة فنية مترابطة وموصولة ببعضها بعض لتبين مدى تماسك النص وكذلك تماسك الأهل والعائلة وتوحدتهم في وجه العدو الغاصب.

الاعتزاز بصنيع الإخوان وثورتهم على المحتل الغاصب، فيقول<sup>(71)</sup>:

|                            |                            |
|----------------------------|----------------------------|
| إننا بنوك على يمناك أبطال  | أبا صهيب فداك النفس والولد |
| نحن الكماة وفيها أنت خيال  | إن الوغى شهدت لنا ساحاتها  |
| فيها الوفاء ونهر الحب سيال | واجنح إلينا تجد ظلاً وراية |

فاحمل علينا هموم الدهر نحملها نحن الجمال وأنت اليوم جمال

يؤكد الشاعر أن ميادين الحرب وساحات النزال نشهد بأن الإخوان هم فرسان المعارك فيصلون ويجولون ويثخنون في عدوهم قتلاً وخطفاً، ويتيهون في كبرياء الثوار في أرض المعترك، فهم أوفياء لوطنهم وإخوانهم الثوار رفقاء الدرب على طريق الثورة والتحرير، ويأمر الشاعر أبا صهيب أخوهم بالجنوح للإخوان فهم نهر للحب سيال وفيه مبالغة على كثرة المحبة، ويدعوه بأن لا يقلق من هموم الدهر فهم يحملونها عنه كالجمال عندما تحمل الأمتعة وهو الجمال أي هو من يقول القافلة بالرغم من ثقل حملتها، وكل هذا نلمح فيه معاني التضحية والفداء والتماسك والتوحد في صفوف الجهاد والثورة وفي مواجهة الملمات والنواب ونازل الدهر، ويقول<sup>(72)</sup>:

والله يشهد وإخوان كلهم أن ابن يوسف للإسلام سريال<sup>(73)</sup>

هذا الصقيل ويحمي الحق منطقته هذا الوفي مقل القول فعال

هذا النقي نقاء الثلج سيرته وثب وشد وإقدام وإقبال

هذا الذي سبقت فينا فضائله كأنها علم أوفي الوري خال

يمتدح الشاعر الأخ حسن يوسف فيشهد الله وإخوان أن ابن يوسف كان قميصاً ودرعاً للدين الإسلامي، ومن ثم استخدم اسم الإشارة أعرف المعارف<sup>(74)</sup> للدلالة على صدق الأوصاف والأفعال الثورية التي جاءت في الأبيات السابقة.

الخطاب الثوري العسكري في مخاطبة النفس، في قصيدة له بعنوان "أنظم خطوتك"<sup>(75)</sup>:

يا رأسي المشغول بالأوهام ماذا أشغلك

حب الحياة أم البقاء وأن تزول منصبك

أم المنايا حوم وتهاب خوض المعترك

ارفع حجاب الجبن تبصر دون لبس موقعك

يخاطب شاعر الأسرى نفسه وإخوانه في الأسر، وهو في قعر مظلمة وزنازين حالكة السواد يناجي فيها نفسه ويدعو فيها ربه بالفرج، ولكنه ينهض من قلب المحن ويثبت عند التمحيص، ويأمر نفسه برفع حجاب الجبن والخوف، ويدعوها بلغة ثورية عسكرية من أجل إعادة تنظيم الخطوات، لنيل ما هو مطلوب من حرية واستقلال.

الخطاب الثوري في تصوير بسالة الشهداء وتصوير مكانة الشهيد في جنات الخلد عند مليك مقتدر، فيقول الشاعر<sup>(76)</sup>:

واصطفي منها سلاحاً صادقاً وإيماناً يلهم الجنود الأبية

ومضى يخطب لعساء اللمى  
ربة الخلد لبوس الطيبات  
ومضى ليثاً عظيماً همة  
فاتك العزم فتى الوثبات  
وائق الخطوسعى حتى قضى  
أرباً في المجد واختار الحياة

حتى الشهداء لهم نصيبهم من الخطاب الثوري في شعر الأسرى، لأنهم قدموا أنفسهم وأجسادهم قرباناً لله سبحانه وتعالى ولوطنهم المحتل بغية تحريره من أيدي الغزاة الغاصبين، فيعبر الشاعر عن مدى شجاعة الشهداء وبسالهم في تلقين العدو الدروس القاسية، وكيف أن الله يصطفي من يشاء من عباده الصالحين المجاهدين المرابطين. ومن ثم يصف الحالة الإيمانية عند الثائر الشهيد وكيف يدخل جنات ربه ويلقي حور العين في انتظاره، فيلقي الله مقبلاً غير مدبر، كالأسد في الشجاعة والقوة والعظمة، يفتك بالعدو صاحب عزم وهمة وثابة وواثق الخطى مطمئن بالنتيجة الحتمية بأن النصر والتمكين لأولياء الله ولعباده الصالحين، فامتزج الخطاب الثوري بالقيم الدينية الثابتة والعقيدة الإيمانية الراسخة في قلوب المؤمنين.

الملاطفة والرقعة في الخطاب عند وصف حال الثوار داخل المعتقلات، فيقول الشاعر في قصيدة له بعنوان: "ثمانية" كتب معاذ سعيد بلال قصيدة عنوانها (ثمانية في غرفة) أثنى فيها على شباب غرفته فلاطفته<sup>(77)</sup>:

ثمانية كرام من كرام  
فحول من نجائب معرقينا  
رمت بهم الكتاب رمي عز  
تصد بهم رماح المعتدينا  
فكانوا أهلها والكفاء يوماً  
وكانوا حصن دعوتنا الحصينا  
فما لبثت رحى الأيام حتى  
دعت لهم الخوازيق المئينا  
فقاموا فوقها وعلوا ولكن  
علوها سادة مترعينا

صور الشاعر حال الأسرى من إخوانه، فاستخدم ألفاظ رقيقة تحمل في مضمونها معاني ثورية جهادية تبين مدى ثبات النفس أمام السجن وقهرها للظالم وقبوده، فعطف بعض الجمل على بعض<sup>(78)</sup> باستخدام الوصل بالواو هي الأداة التي تخفي الحاجة إليها، ويحتاج العطف بها إلى لطف في الفهم، ودقة في الإدراك، إذ لا تفيد إلا مجرد الربط، وتُشريك ما بعدها لما قبلها في الحكم<sup>(79)</sup>، واستخدم الفاء التي تفيد الترتيب مع التعقيب كما تفيد التشريك<sup>(80)</sup>، وذلك لرسم صورة فنية تمثل جهاد الأسرى وكفاحهم الغازي، ولبيان مدى تدرج نفس الأسير وإقبالها على الشهادة لا إدارها في ساحات النزال والوغي، وصور الشاعر مدى شجاعة الأسرى وقوتهم كيف لا؟ وهم الأبطال الذي

اقتحموا المجاهل حاملين أرواحهم على أكفهم، فهم اعتلوا الصعاب وشقوا عباب الليالي وسدفاها الموحش وجعلوا السرمد صباحاً حراً طليقاً، فاستخدم الشاعر كلمة الخوازيق<sup>(81)</sup> كناية عن ظلم المحتل وقسوته وعنجهيته، فبين ركوبهم على الخوازيق ليس أذلاء بل سادة متربعين في موكب شرف وعزة وكبرياء لا انكسار وذل وضعف، فاستخدم الشاعر أداة الاستدراك لكن لتوسطها بين كلامين متغايرين نفيًا وإيجابًا، فاستدرك بها النفي بالإيجاب بالنفي<sup>(82)</sup>.

الخطاب الثوري من خلف زنازين العزل الانفرادي، في قصيدة "خلف الأسر"<sup>(83)</sup>:

يا أيها المعزول خلف الشمس طال الانتظار  
مر الزمان ولا حراك وفات في العمر القطار  
مر الرفاق وخلفوك فريسة تحت الجدار  
يقتات قلبك والشباب يستبد ولا فرار  
قد شد حولك فكاه شد المعاصم بالسوار  
الليل فوقك جاثم وقراره بنس القرار  
ما أثقل الأيام تمضي مفرداً خلف الستار  
فردا تعيش على الحنين المر للوطن المعار  
يا أيها الملقى على جمر الغضى والعزل نار  
قلي تظفرواكتوى كبدي وأعياني انحصار  
الله حسبك إن نسيت وضعت وسط الانهيار  
الله حسبك إن نسيت وجمعهم لبس الخمار

يصور الشاعر حال الأسرى في العزل الانفرادي، الذي يعد جريمة من أبشع الجرائم التي يرتكها الاحتلال الصهيوني في السجون الإسرائيلية، وقد عاشها الشاعر، وألقت بظلالها القائمة على روحه الشاعرة، فجاء هذا الخطاب الثائر ينادي على المعزولين خلف الشمس، ويكرر في السطر الثاني والثالث التركيبين "مر الزمان لا يمر في العزل" و"لا حراك" وأن جميع رفاقه مروا وتركوه وحده في هذا الجحيم، ولذلك تثقل أيامه، ويكرر في سطرين متتاليين مفرداً، فرداً "للتأكيد على الشعور بالوحدة والوحشة، ثم ينتهي النص بالتركيب ذي الدلالة الإيمانية" الله حسبك" متكرراً مرتين، تأكيداً على عقيدة الصبر والاحتساب.

يتضح مما سبق أن نصوص لغة الخطاب الثوري ودلالاتها في شعر المعتقلات تتميز باللغة الشاعرة التي تعبر عن الصدق الفني التابع من ذات الشاعرة وفلسفته في هذه الحياة، ويبرز في ثنايا الخطاب المقصدية التبليغة بمنحى دلالي متصاعد يبلغ رسائل المعتقلين وينقل جزءاً من معاناتهم للعالم الإنساني الحر، لعل وعسى أن يجدوا من ينصت لأرائهم ويشعر بمعاناتهم، وينقل قضيتهم لأحرار العالم وشرفائه.

لقد تميزت لغة الخطاب باعتمادها على بنية نصية تثويرية متفاعلة ذات مشكلات تأويلية تمثل مرجعيات دلالية سبكت النص الثوري بالحالة التي يمر بها المعتقلون، ونظمت العلاقة بين المبدع والمتلقي ممّا أنتج نصوصاً ذات بؤر دلالية متجددة تعبر عن حالة الألم البشري، فوظف أهل المعتقلات تقنيات كتابية وأسلوبية في لغة الخطاب الثوري أتاحت للمتلقي حيوية التأويل، ومحاولة التأثير في سلوكياته وما تفاعله مع النص المنتج من داخل الفضاء الحالم المتمرد.

فالقيمة الموضوعية تألفت مع الدلالة اللغوية للنص المنتج داخل سياق ثوري جامع، استطاع أهل المعتقلات من خلال أدبهم سكب مشاعرهم وأحاسيسهم الثورية الملتهبة التي تسعى جاهدة إلى النيل من المحتل وأعوانه وإلحاق الأذى بالطواغيت المجرمين، والتشهير بهم وتعريضهم من المشاعر الإنسانية، وشد أزر الإخوان والوحدة والتماسك في ساحات الوغى واليزال.

نتائج البحث وتوصياته

### النتائج والتوصيات

إن الدراسة التحليلية للخطاب الثوري في شعر المعتقلات من خلال ديوان الضوء والأثر أنموذجاً لشاعر الأسرى علي عصفرة، جاءت مليئة بالنتائج؛ لأنها شملت التحليلات لمضامين الخطاب الثوري وموارده، وهذه أهم النتائج والتوصيات على النحو الآتي:

1- امتلك المعتقلون ناصية الخطاب الثوري والقول الفصل، فهم مجاهدين أحرار أبطال، فدوا وطنهم بأرواحهم قبل أعمارهم، فلذلك يصدر الخطاب عن عقيدة إيمانية وطنية راسخة وأفعال جهادية صادقة، تزيد مضمون الخطاب قوة وفحواه تأثيراً في نفس المتلقي.

2- انطلق الخطاب الثوري في نصوص شعر المعتقلات، من نظرة وطنية قومية شاملة لأمة الإسلام والمسلمين في سبيل تخليصهم من الظلم والقهر والذل والضعف والهوان، فلذلك جاء خطابهم الثوري مستدعياً للماضي بخبراته ومصوراً للواقع بمشكلاته ومستشرفاً للحل في المستقبل، وراسماً لطريق الحرية والتحرير، كل هذا من داخل الفضاء المغلق الذي انبجست منه الرؤية الاستراتيجية لطبيعة لإدارة الصراع مع العدو ومقارعة في كل شبر من ثرى فلسطين الحبيبة.

3- مضامين لغة الخطاب الثوري في شعر المعتقلات موجهة لكل أحرار العالم، من أجل استنهاض همم الشعوب نحو الحرية والتحرر من كل أشكال الاحتلال والظلم والهوان، فوجهة للإخوان ورفقاء الدرب في الجهاد والمعتقلات وأفراد المجتمع وللحكام وللأساسة، لعلهم يرشدون ويدعمون الأحرار، أو يتركون وشأنهم في رسم درب العزة والكرامة للشعب الفلسطيني الباسل.

4- تعدد المفردات داخل الخطاب الثوري تبعاً لدلالات السياق، فاستخدمت تقنيات دلالية كالترميز الدلالي والكنائي والاستعاري والمجازي، كل ذلك ساعد على بلورة الفكر الثوري والثقافة الجهادية لدى المعتقلين، فالناظر إلى الحقول الدلالية فهي تجمع بين المعنى المعجمي والسياقي، وقد جاءت ألفاظ وسائل الثوار وأدواتهم وأفعالهم وقيمهم أكثر المفردات شيوعاً لما لها من دلالة في

5- تتسم لغة الخطاب الثوري وإنتاجاته الدلالية بالشعرية والمقصدية في تبليغ رسائل النصوص وإيصالها لجمهور المتلقين.

6- ضرورة عقد مؤتمرات علمية وأيام دراسية حول لغة نصوص أدب المعتقلات والكشف عن دلالاتها الكامنة في التراكيب والألفاظ والمفردات.

### الهوامش

- (1) قضايا حول الشعر، عبدي بدوي، دار المعارف، القاهرة 1985م، ص 242-243.
- (2) قضية الشعر الجديد، محمد النويهي، دار الفكر، ط2، بيروت 1971م، ص 522.
- (3) صوت الأسير، نشرة غير دورية، غزة، 2000م، ص 4.
- (4) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار العودة، بيروت 1986م، ص 35.
- (5) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، مصر، ج 1/ص 71.
- (6) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر وآخرون، عالم الكتب، القاهرة 2008م، ج 2/1533.
- (7) بانوراما الرواية العربية الحديثة، سيد النساج، دار المعارف، القاهرة 1980م، ص 13.
- (8) ديوان الضوء والأثر، علي محمد عصفارة، رابطة الأدباء والكتاب الفلسطينيين، ط1، غزة 2012م، ص 5.
- (9) التطبيق النحوي، عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت 1981م، ص 60.
- (10) مفاتيح العلوم، يوسف السكاكي (ت 626هـ)، ضبطه وكتبه هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت 1987م، ص 311.
- (11) شرح الكافية الشافية، لابن مالك الطائي الجبائي (ت 672هـ)، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، منشورات جامعة أم القرى، ط1، السعودية، ج 1/ص 238.
- (12) مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاري (ت 761هـ)، تحقيق: مازن المبارك ومحمد حمد الله، دار الفكر، ط6، دمشق 1985م، ص 49.
- (13) ديوان الضوء والأثر، ص 5.
- (14) يتعب: يسيل وينفجر. انظر: المعجم الوسيط، ج 1/ص 95.
- (15) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، ط3، القاهرة 1992م، ص 106.
- (16) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير (ت 637هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ج 2/ص 172.
- (17) الكماة: واجدها الكمي وهو اللابس السلاح، وقيل: هو الشجاع المقدم الجري، لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي (ت 711هـ)، دار صادر، ط1، بيروت 1414هـ، ج 15/ص 232.
- (18) أجمهرة أشعار العرب، أبو زيد القرشي (ت 170هـ)، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، ص 365.
- (19) ديوان الضوء والأثر، ص 6.
- (20) ديوان الضوء والأثر، ص 18.
- (21) ديوان ابن خفاجة، تحقيق: عبد الله سنده، دار المعرفة، ط1، بيروت 2006م، ص 14.

- (22) المثل السائر، ج2/ص51.
- (23) ديوان الضوء والأثر، ص5.
- (24) ديوان الضوء والأثر، ص29.
- (25) ديوان الضوء والأثر، ص7-8.
- (26) دلائل الإعجاز، ص266.
- (27) ديوان الضوء والأثر، ص28.
- (28) اللغة والإبداع الأدبي، محمد العبد، دار الفكر، القاهرة 1989م، ص37-38.
- (29) الفصول المفيدة في الواو المزيدة، صلاح الدين الدمشقي(ت761هـ)، تحقيق: حسن الشاعر، دار البشير، ط1، عمان 1990م، ص128.
- (30) ديوان الضوء والأثر، ص71.
- (31) مفتاح العلوم، ص411.
- (32) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، أحمد الهاشمي (ت 1362هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ص340.
- (33) ديوان الضوء والأثر، ص78.
- (34) شجر بُنيت بریا فی سواحل الشّام والغور والجبال الساحلية دائِم الخضرة يصلح للتزيين. انظر: المعجم الوسيط ج2/ص665.
- (35) البيرق: العلم الكبير. انظر: المعجم الوسيط ج1/ص78.
- (36) البلاغة العربية، عبد الرحمن الميداني (ت 1425هـ)، دار القلم والدار الشامية، ط1، بيروت ودمشق 1996م، ص240.
- (37) النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، ج4/ص1.
- (38) جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني (ت1364هـ)، المكتبة العصرية، ط28، صيدا 1993م، ج3/ص148.
- (39) المعجم الكبير، لأبي القاسم الطبراني (ت 360هـ)، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، ط2، القاهرة، (4163) ج4/ص209.
- (40) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق: عبد الحميد هندواي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ج2/ص596.
- (41) ديوان الضوء والأثر، ص42.
- (42) المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ج2/ص92.
- (43) جواهر البلاغة، ص76.
- (44) مجمع الأمثال، أحمد الميداني (ت518هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، ج2/ص215.
- (45) الغيثم: الموت. انظر: مجمع الأمثال، ج2/ص368.
- (46) صحيح البخاري، محمد البخاري(ت256هـ)، تحقيق: محمد الناصر، دار طوق النجاة، ط1، السعودية 1422هـ، (2818) ج4/ص22.
- (47) ديوان الضوء والأثر، ص43-44.
- (48) الصورة والبناء الشعري، محمد حسن عبد الله، دار المعارف، ط1، القاهرة 1981م، ص32-33.
- (49) ديوان الضوء والأثر، ص44.

- (50) ديوان الضوء والأثر، ص34.
- (51) ديوان الضوء والأثر، ص35-36.
- (52) ديوان الضوء والأثر، ص5.
- (53) مردوا: صقلوا وتربوا. انظر: المعجم الوسيط ج2/ص862.
- (54) ديوان الضوء والأثر، ص45.
- (55) بناء الأسلوب في شعر الحداثة، محمد عبد المطلب، دار المعارف، ط2، القاهرة 1995م، ص401.
- (56) ديوان الضوء والأثر، ص83.
- (57) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، ط2، بيروت 1988م، ص184.
- (58) ديوان الضوء والأثر، ص44.
- (59) ديوان الضوء والأثر، ص10.
- (60) شرح المفصل، لابن يعيش (ت643هـ)، مكتبة المتنبّي، ط1، بيروت 1900م، ج8/ص150.
- (61) ديوان الضوء والأثر، ص35.
- (62) التطبيق النحوي، ص350.
- (63) الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت392هـ)، تحقيق: محمد النجار، دار الهدى، ط2، بيروت، ج1/ص336.
- (64) ديوان الضوء والأثر، ص47.
- (65) البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون (ت1408هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ج1/75.
- (66) الجنى الداني في حروف المعاني، لابن أم قاسم المرادي (ت749هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 1992م، ص59 وقاموس الأدوات النحوية، حسين سرحان، مكتبة الإيمان، ط1، المنصورة 2007م، ص80.
- (67) المعجم الوسيط ج1/ص410.
- (68) ديوان الضوء والأثر، ص14.
- (69) ديوان الضوء والأثر، ص39.
- (70) المرايا المتجاورة، جابر عصفور، الهيئة العامة للكتاب، ط1، القاهرة 1983م، ص353.
- (71) ديوان الضوء والأثر، ص24-25.
- (72) ديوان الضوء والأثر، ص24.
- (73) سربال: القميص والدرج. انظر: لسان العرب ج11/ص335.
- (74) الأصول في النحو، لابن السراج (ت316هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج1/ص26.
- (75) ديوان الضوء والأثر، ص9.
- (76) ديوان الضوء والأثر، ص20.
- (77) ديوان الضوء والأثر، ص30.
- (78) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعدي (ت1391هـ)، مكتبة الآداب، ط16، القاهرة 2005م، ج2/ص278.
- (79) جواهر البلاغة، ص180.



(80) قاموس الأدوات النحوية، ص102.

(81) الخازوق: هو عمود مدبب الرأس كانوا يجلسون عليه المذنب في الأزمان الغابرة فيدخل من دبره ويخرج من أعلاه.

انظر: المعجم الوسيط، ج1/ص232.

(82) المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم الزمخشري(ت538هـ)، علي بو ملح، مكتبة الهلال، ط1، بيروت

1993م، ص398.

(83) ديوان الضوء والأثر، ص32-33.